

ترجمة مقالة الدكتور يحيى حول كتاب

(المعجم الإحصائي لألفاظ القرآن الكريم)

إلى روح أستاذه الشهيد الذي رحل إلى  
الرفيق الأعلى في التاسع والعشرين من حزيران

## المعجم الإحصائي لألفاظ القرآن الكريم تطور جديد في الدراسات الإحصائية للقرآن الكريم

يمكن القول: إنّ للدراسات الإحصائية حول القرآن الكريم في الحضارة الإسلامية خلفيّة تمتدّ بامتداد تاريخ القرآن، فلقد دُوّن القرآن منذ العقود الأولى للقرن الأول الهجري، وانتقل بذلك من ألواح العظام إلى ألواح القراطيس. وجذب تعداد السور والآيات وترتيب و مكان كلّ واحدة منها اهتمام القراء و عامّة المسلمين في بادئ الامر. ثم تلا ذلك الدور الاهتمام بعدد الكلمات و الحروف و علامات المدّ و الجزم و الوقوف و الركوعات. و أخيراً الاهتمام بعدد النقاط و الأشكال و أمور أخرى كعلامات الوقف و التجويد، و ذلك بعد ظهور الشكل و الإعراب و تنقيط الحروف. و أقبل على القرآن عشاق الوحي، فعبروا عن شوقهم، و كرسوا أعمارهم، و أعربوا عن اعتقادهم نحو كتابهم السماوي الخالد، مندفعين إمّا بدافع تحصيل الجزاء الأخرويّ أو بدافع إشباع غريزة حبّ الاستطلاع. و إلى جانب الجهود المبذولة في تحسين الخطّ، و التذهيب و التجليد الفنّي للقرآن، كان البعض يبحث في الأبعاد العددية للقرآن من خلال القيام بعمليات إحصائية طويلة، فخلّدت بعض معطيات تلك الجهود في كتب مستقلة أو في صدر المصاحف المخطوطة و ذيلها.

و عند ما نظّمت كتب مستقلة حول القرآن و البحوث القرآنيّة فيما بعد، شقّ كثير من هذه الإحصائيات طريقه إلى تلك الكتب، أو أنّ المعدّين لتلك الآثار هم الذين قاموا بأنفسهم بتثبيت تلك الإحصائيات، و حصلوا على أرقام أخرى في كلّ موضع، ممّا أدّى إلى اتّساع نطاق تنوّع الأرقام السابقة. و ما لا ينبغي لنا ان ننساه بشأن هذه الإحصائيات هو أنّه لمّا كان إحصاؤها يتمّ في الأغلب من طريق العدّ المباشر، و بالطرق البدائيّة اللامضمونة، فلا يمكن أن تحظى بدقّة رياضيّة لازمة أبداً. مضافاً إلى ذلك أنّ الحصول على هذه الأرقام و الأعداد كان يعدّ ضرباً من اللّهو و التسلية، إذ لم تترتب عليه فوائد علميّة مدروسة إلا قليلاً.

و ممّا يجدر ذكره هو أنّ تدوين الفهارس - كإعداد الفهرس الأبجديّ للآيات، و فهرس المواضيع - من مبتكرات الفترة الأخيرة، حيث وجد الأوربيّين أنّ المراجعة السريعة و المضمونة لكتاب المسلمين ضرورية من أجل تأمين حاجاتهم

العلمية. ولتجاوزنا بعض المحاورات التمهيدية التي قام بها المسلمون أنفسهم، فإن أول فهرس علمي للآيات يعتمد على الموازين الصحيحة لتدوين المفردات العربية - حيث يُرجع القارئ إلى مادة الكلمة من أجل العثور على كل مفردة وتحديد مكانها - هو الفهرس الذي وضعه العالم الألماني غوستاف فلوجل لألفاظ القرآن الكريم، والذي طبع في أورتبا سنة ١٨٤٣م. ويعدّ عمل فلوجل هذا نموذجاً لعامة المعاجم القرآنية عند المسلمين إلى يومنا هذا. ثم أكمل هذا المشوار بعد ذلك لسبب ما بفهرس موضوعي وضعه المستشرق الفرنسي جول لابوم (Jules Labeaume) (١٨٠٦ - ١٨٧٦م)، وصدر لأول مرة سنة ١٨٧٧م، فحقّق للدراسات القرآنية. التي كانت تجري طبق الذوق والاستحسان فيما مضى - نقلت نحو التنظيم والإفادة من أساليب علمية جديدة ودقيقة في البحث والتحقيق. إن الإفادة اليوم من فهرس الآيات وتصنيفها. لاسيما المعاجم الذائعة الصيت التي تبدو أنها علمية ودقيقة مثل: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، الذي أعدّه فؤاد عبدالباقي، والفهرس الأبجدي للآيات (كشف الآيات) الذي أعدّه المرحوم الدكتور محمود راميار للناطقين باللّغة الفارسية المولعين بالطرق الأبجدية، وأخيراً ترتيب المعجم المفهرس إعداد محسن بيدارفر، وكذلك المعجم الموضوعي للقرآن المجيد، الذي أعدّه كامران فاني وبهاء الدين خرمشاهي في حقل فهرسة المواضيع. أمر روتيني ملح، وهو من البديهيات والمسلمات في مجال الدراسات المرتبطة بدائرة الثقافة الإسلامية بالمعنى الواسع والشامل للكلمة.

وبعد هذه المقدمة - ودون أن أبخس حقّ الباحثين الكبار في ميدان القرآن، أمثال الزركشي، والسيوطي، والزرقاني، وغيرهم لما قاموا به من عمل جبار في حضارتنا الإسلامية، ودون أن أنكر فضل السباقين من العلماء إلى هذا العمل، أمثال: فلوجل، ولابوم بسبب منهجيهما في الفهرسة - ينبغي أن أزفّ البشري لجميع الباحثين في هذا الميدان وعامة المشتغلين بالثقافة الإسلامية الثرة الغنية في العالم بمناسبة إصدار كتاب دقيق ومنهجي ونقدي، وبكلمة واحدة، عظيم وجليل، من قبل الأستانة الرضوية المقدسة.

ويطيب لي أن أهتئ مؤتسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة التي وُفقت في إصدار مثل هذا السفر في الذكرى السنوية السادسة لتأسيسها بعد صبر طويل وتحمل لتكاليف باهظة في هذا المجال.

إن إصدار المعجم الإحصائي لألفاظ القرآن الكريم - وهو من تأليف وتحقيق الدكتور محمود روحاني، والذي يعتبر مناراً في سوق الكتاب والتحقيق الكاسدة في إيران. بشري عظيمة، وما فتأ للباحثين في علوم القرآن (تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة وبشري للمسلمين)<sup>١</sup>. ولعلّ بعض القراء الذين اعتادوا أن يقيسوا الكلام على قائله لم يعرفوا مؤلّف هذا الكتاب، وربّما يخطر في بالهم أنني أقزّظ الكتاب من خلال هذه التوطئة، ومن هذا المنطلق أودّ أن أقول فيما يخصّ التعريف بالمؤلّف: إنّ المؤلّف الكريم هو الدكتور محمود روحاني، أكمل دراسته قبل عدّة سنين في بروكسل، فحصل على شهادة دكتوراه اختصاص في الصّحة العامّة (Dr. P. H.)، وشهادة اختصاص عالٍ عالمية في علم الأوبئة والإحصاء الطبّي بدرجة (امتياز) من جامعتها. وكانت له منزلته السياسيّة اللائقة أيام النضال الذي خاضه أهالي مشهد في السنين الأولى من الثورة، فكان النائب الأول عن أهالي خراسان في مجلس الخبراء الأول. بعد ذلك تسّم منصب وزارة الصّحة في الفترة الواقعة بين سنتي ١٩٨١ و ١٩٨٢م. وهو الآن أستاذ في جامعة العلوم الطبّيّة بمشهد (كلية الطب)، ورئيس لهيئة الأمناء المسؤولة عن جامعة الإمام الرضا عليه السلام، وعضو في الهيئة الإدارية لمجمع البحوث الإسلامية التابع للأستانة الرضوية المقدسة.

إنّ ارتباطه الميمون بأسرتي العلم والفضيلة في خراسان - آل مطهري وآل شريعتي - جعله يعيش في أجواء القرآن

و الثقافة الإسلامية الأصيلة ممّا أفضى به - ومدة عشرين عاماً - أن يبدأ الدراسات القرآنية فكرةً، ثم واصل بحثه فيها حتى أصبحت شغله الشاغل.

فكان كتاب المعجم الإحصائي - الذي استغرق تأليفه و طبعه زهاء ثلاث عشرة سنة - أول عطاء مشرف لتلك العناية المباركة، و فاتحة خير لأعمال أساسية أخرى، نحو: المعجم الوافي لمفردات القرآن، ودراسة أخرى حول المفردات القرآنية مع ذكر الآيات بأسلوب بديع. و تعدّ هذه الدراسة «أم الكتاب» على حدّ تعبير المؤلف: وقد طويت المراحل الأساسية لبعض تلك الأعمال بشكل متزامن.

إن المعجم الإحصائي هو في الحقيقة كتاب يدور حول ألفاظ القرآن الكريم، مع فوائد جانبية جمّة. يقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء تضمّ (١٨٦٢) صفحة تخصّ النصّ، و ٣١ «بالحروف» و ٧٢٦ «بالارقام» صفحة تخصّ المقدمة التي تعتبر بذاتها دراسة علمية، و منهجية، و مثالية. طبع هذا الكتاب (النص في جزئين و المقدمة في جزء واحد) بحلّة قشبية مشرّفة. و هو من الكتب التي ينبغي تحمّل الصعاب من أجلها سنين طويلة، لعلّ الانسان يظفر بها، و لكنّه لن يظفر بها أبداً - و ذلك في آذار سنة ١٩٩٠م، على نفقة مؤسسة الطبع و النشر التابعة للأستانة الرضوية المقدّسة بمشهد. و كان من المقرّر أن يصدر إلى الأسواق في آنٍ واحد مع هذه المقدمة المقتضبة.

و حملت على عاتق التعريف بالكتاب بتلك العجالة حين نشره، حيث كنت منذ سنين على علم بمراحل تأليف الكتاب إلى حدّ ما. و بسبب الدور الضئيل الذي قمت به في مجال مراجعة القسم الفارسيّ من الجزء الأوّل «المدخل»، فأتى وقت - بمقدار فهمي - على أهمية الكتاب في الفترة الأخيرة إلى حدّ بعيد. و لعلّي في الدرجة الثانية بعد المؤلف من حيث حصولي على أكثر المعلومات المتعلقة بحجم الكتاب و نوعه و وضعه. و إن معرفتي بهذا الكتاب، و ما كنت أراه من منهج متزن و متكامل في تنظيمه أفضيا بي إلى أن أقدمه على مشروعنا الكبير في إعداد «المعجم العظيم للقرآن الكريم» في قسم الثقافة و الأدب التابع لمجمع البحوث الإسلامية، حيث يضمّ تفسيراً باللّغة الفارسية المتنوّعة لمئة و ثلاثة و أربعين مصحفاً و كراسة مخطوطة محفوظة في مكتبة الأستانة الرضوية المقدّسة بالطريقة الأبجدية. و قد أنجز الجزء الأوّل منه، و هو يضمّ الألف الممدودة و الهمزة، و يطوي الآن مراحلها الأخيرة في الطبع.

إنّ منهجية الكتاب لتبهر القارئ و تجذبه للوهلة الأولى، و كأنّها تختلف عن جميع ما ماثلها من أعمال منجزة في هذا المجال لأسباب ما. و صحيح أنّ نصّ الكتاب «الجزء الثاني و الثالث» هو عبارة عن معجم أبجديّ لمفردات القرآن الكريم، و يكاد يشبه كتاب المرحوم الدكتور راميار الذي كان و لازال متداولاً في إيران، و مع هذا فإنّ كيفية فرز المفردات المكيّة و المدنيّة، و ذكر إحصاء مستقلّ لكلّ منها، و إعطاء مادة كلّ كلمة في مقابلها، كلّ ذلك يدلّ على الإبداع في العمل تقريباً، و يضمّ فوائد ثنائية و أحياناً متعدّدة، مضافاً إلى ذلك فإنّه لا يمكن موازنته للنماذج السابقة من حيث الدقّة و الصحّة. إنّ منهجية إحصائيات الكتاب و صحّتها التي جرى اختبارها بمعايير متنوّعة، ينبغي أن تكون من إفراز الفرع التخصصي للمؤلف «علم الأوبئة و الإحصاء»، و هو ما كان يفتقده السابقون من مصنّفي المعاجم القرآنية. و بمساعدة تلك المنهجية، استطاع المحقّق المحترم أن يتلافى النقص المحتمل في الألفاظ العربية المطلوبة للقيام بمثل هذه المهمة الشاقّة عن طريق مقارنة المصادر المضبوطة، مع التحقيقات و البحوث المتواصلة. و يتفق أنّه لو كان هناك نقص في الأعمال الإحصائية للقرآن سابقاً، فإنّه نقص في المنهجية أو عدم وجودها، و ليس السبب هو عدم وجود الألفاظ العربية المطلوبة.

و الآن نتعرّف على منهج العمل في الجزء الأوّل من الكتاب بتفصيل وافٍ؛ لقد سار المؤلف باتّناد لافِت للنظر قياساً بالأعمال المشوّشة و المتسرّعة السابقة في هذا المجال، مقترباً من طريقتة الخاصّة في العمل خطوة خطوة. انتهج في البداية. و بعد أن قام بالمقارنة اللازمة بين ثلاثين طبعة متنوّعة للقرآن عائدة إلى تسعة عشر بلداً من بلدان

العالم (إسلامية و غير إسلامية). معايير خاصة وفقاً لضرورة النظام الأبجدي للكتاب الذي لا بد له من الأخذ بنظر الاعتبار الصورة المكتوبة والملفوظة معاً للمفردات القرآنية. وأخيراً اتخذ من المصحف الميسر - الذي ينطبق نصّه على مصحف الملك و مصحف الازهر - أساساً لعمله. (الصفحة ٢٠ و ٧٠٠).

وكان باستطاعة المؤلف أن يسير مع المنهج المتبع في عصرنا هذا، فيتخذ من أحد المعاجم الأبجدية - كمعجم راميار مثلاً - أساساً لعمله، ويكمل النواقص الموجودة في المصادر التي يذكرها وفقاً لطريقته التي يختارها في العمل. غير أنه لم يفعل ذلك لأسباب، منها عدم اطمئنانه لإحصاء المتقدمين. فقام وحده متحملاً مشاق العمل الكثيرة - وبطريقة مجهددة تستنزف وقتاً طويلاً إلا أنها مضمونة - بفرز جميع المفردات القرآنية في البداية، وإحصائها، ثم قام بضبطها متأنياً أيماً تأنيلاً مستخدماً بذلك أسلوبين أو أكثر. وعندما اطمئن إلى صحة إحصائه بعد ظفره بنتائج متففة عن طرق متنوّعة، شرع في تنظيم المفردات و ترتيبها أبجدياً.

لقد أنجز المؤلف الضبط الإحصائي للألفاظ، وذلك من خلال التبويب الموضوعي لكل كلمة في المصحف الذي طبعه فلوجل، وهو الذي طبع في الكلمات متباعدة بمسافة لازمة ومستقلة عن بعضها بعضاً. وقام بضبط إحصائه و فرزه الأولي للمرة الثانية و الثالثة بوضع علامة (x) و (/) على كل كلمة اعتباراً من بداية القرآن، وذلك ليطمئن إلى عمله. ولقد رأيت المصحف الذي اشتغل به المؤلف، فتعجبت منذ النظرة الأولى من دأب المؤلف في عمله، وتأسفت على الوقت الكثير الذي بذله من أجله. ويستطيع القارئ أن يلاحظ عينة من القرآن المعني والألوان العديدة التي تدل على الجهود المتتابة وأحياناً المتقطعة للمؤلف، التي بذلها على صفحات ذلك المصحف، وذلك في الصفحة الرابعة والأربعين، و الصفحة الرابعة والسبعين بعد المئة من هذا المعجم، وذلك ليبقى تذكراً لعمل تحقيقي مجهد شاق في صفحات التاريخ. ونستشف من الصفحة الثامنة والعشرين من الجزء الأول للكتاب أن إحصاء ألفاظ البسملة (ماعداء سورة الفاتحة) لم يرد في هذا المعجم، وذلك لكي لا يتضارب نظم إحصاء المفردات القرآنية مع الأسلوب المتداول في المعاجم الأخرى، ولكي يتمكن الباحثون في العلوم القرآنية من العمل وفقاً لما يعتمدون عليه من رأي في الوقت نفسه، فقد تم فهرسة تلك الألفاظ مستقلة في الصفحة ٢٨.

وقد أحصيت المفردات القرآنية في هذا المعجم بطريقتين: مباشر وغير مباشر، أما الطريق المباشر فهو عبارة عن إحصاء المفردات، حيث أحصيت كل كلمة في صفحات القرآن و سورة من البداية إلى النهاية بصورة مستقلة، بعد ذلك جمعت كلمات السور بعضها إلى بعض. وأما الطريق غير المباشر فقد أحصيت في الكلمات المشتقة من كل مادة والتي ترجع إلى أصل واحد في اللغة العربية، وبعد إضافة الكلمات غير المشتقة في المجموع، نحصل على نفس العدد الناتج عن الإحصاء السابق.

ومن الإحصائيات الأخرى في هذا المعجم - التي تعتبر إلى حد ما من بواعث تفوقه ورجحانه على أمثاله من الكتب أيضاً - هي تقديم إحصاء دقيق (بل أدق إحصاء حسب زعم المؤلف) للفظ الجلالة. وبناء على ما جاء في الكتاب فإن لفظ الجلالة لم يُحصَ لحد الآن إحصاء دقيقاً في جميع المصادر المعنوية. وقد تم في هذا المعجم إحصاء الكلمة إحصاء دقيقاً بأربع طرق هي:

١. الإحصاء المباشر للفظ الجلالة رفعا ونصبا وجرًا.

٢. إحصاء الكلمة في مصحف فلوجل.

٣. إحصاؤها حسب مصحف إسطنبول؛ حيث طبعت كلمة «الله» فيه باللون الأحمر.

٤. وأخيراً تم إحصاؤها اعتماداً على المصحفين المخطوطين المحفوظين في مكتبة الأستانة الرضوية المقدسة، و

قد حُطت كلمة «الله» فيها بماء الذهب.

وخرج المؤلف بهذه النتيجة، وهي أنّ كلمة «الله» تكرّرت في القرآن (٢٦٩٩) مرّة. وبذلك يتفاوت هذا العدد برقم واحد مع أدق إحصاء كومبيوترّي قام به رشاد خليفه قبل عدّة سنين، وأسفر عن فرضيته المعروفة حول العدد (١٩). وهكذا يظهر بطلان الفرضية المذكورة.

ومما يجدر ذكره بشأن المنهجية الخاصة بالترتيب الأبجدي للكتاب، هو أنّ جميع الموارد الاستثنائية أو الكلمات التي في بدايتها حروف مضافة إلى أصلها بالضرورة قد وردت بدقّة في جداول منظّمة (من الصفحة ٣٢٩ حتى الصفحة ٣٥١) حسب الترتيب الأبجدي. وبذلك لم يترك المؤلف مجالاً يرتاب فيه القراء غير الملمّين باللّغة العربيّة. وقد تمّ في هذا المعجم فهرسة الأعلام الموجودة في القرآن من خلال تحديد الجذر العرفي التقليدي لكلّ علم، مع ذكر مواضع ذلك بالفرز مكّيّاً كان أو مدنيّاً.

وثبّتت في الصفحة التاسعة والعشرين، والثلاثين، والحادية والثلاثين الأرقام العديدة المتعلقة بالآيات والكلمات في كلّ سورة، من الرقم الصغير حتى الكبير بدقّة على أساس المصادر المتقدّمة التي تطرقت إلى عدد الآيات والكلمات. وأما المؤلف اللّثام بذلك عن اختلاف عجيب في عدد الآيات والكلمات في المصادر المتنوّعة. وقدّم إلينا في الجدول الموجود في الصفحة الثانية والثلاثين حقل التغييرات المتعلقة بألفاظ كلّ سورة. وتتعلّق أكثر التغييرات بسورة التوبة من خلال (٢٥٦٨) كلمة هي محلّ اختلاف! وتأتي بعدها سورتا النحل والعنكبوت. وقد سأمى المؤلف في هذه الصفحات علماء القرآن المشهورين، أمثال الزركشي، والسيوطي، فخرج - على ما يبدو - ظافراً متفوّقاً.

ومن الميزات اللافطة للنظر في هذا المعجم: المنهجية المطبّقة في فرز الآيات المكّيّة والمدنيّة، لاسيما التحديد الإبداعيّ للآيات المستثناة (الآيات المكّيّة في السور المدنيّة وبالعكس).

إنّ ذكر مواضع الألفاظ حسب الفرز المكّي والمدنيّ أفضى بالمؤلف إلى أن يعتمد ضوابط جديدة لتحديد الآيات المكّيّة والمدنيّة. وقد خرج مثلاً بهذه النتيجة، وهي: أنّ كلّ آية فيها لفظ «ألهمتكم»، أو فيها كلمة مشتقّة من مادّة (بضع) فهي مكّيّة. وكلّ آية فيها لفظ «قاتلهم»، أو كلمة مشتقّة من مادّة (ثقف) فهي مدنيّة. وقدّم على هذا الأساس إلى الباحثين جداول (من الصفحة ٦٢٧ حتى الصفحة ٦٤٧) تمكّنهم الانتفاع بها، ليظفروا بنتائج علمية مفيدة، ولعلّهم يقدّمون فرضيات خاصّة بناء على هذه الجداول.

ويتعرّف القارئ في المقدّمة التحقيقيّة الغنيّة للكتاب على نبذة مجمّلة للمعاجم القرآنيّة القديمة والجديدة، نحو المعاجم التالية:

١. آية الآيات الفرقانيّة (أول فهرس للآيات). ٢. دليل الحيران في الكشف عن آيات (آي) القرآن (ترتيب جميل). ٣. هادية القطبشاهي (دليل القطبشاهي) في استخراج آيات الكلام الإلهي (رسالة هادية القطبشاهي). ٤. كشف الآيات (فهرس الآيات) محمدرضا بن عبدالحسين النصيري الطوسي. ٥. نجوم القرآن (الفرقان). ٦. كشف الآيات (فهرس الآيات) لمحمّد شاهي. ٧. نجوم الفرقان في أطراف القرآن. ٨. مفتاح كنوز القرآن. ٩. مفتاح التفاسيرو مصباح الآيات. ١٠. فتح الرحمن لطالب آيات القرآن. ١١. إرشاد الراغبين في الكشف عن آي القرآن المبين. ١٢. المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته. ١٢. الموسوعة القرآنيّة الميسرة (ج ٣ و ٥). وبعضها - كما يلاحظ - ليس في متناول اليد تماماً، أو لايتيسّر لعامة الناس الاطلاع عليه.

مضافاً إلى ذلك، فإنّ تعداد النواقص والإشكالات إلى جانب الفوائد والميزات لمعاجم مشهورة. مثل: «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم»، «فهرس الألفاظ وملحق القرآن المبين»، «نجوم الفرقان في أطراف القرآن» (فلوغل)، «معجم الألفاظ والأعلام القرآنيّة»، «المرشد إلى آيات القرآن الكريم» وأمثالها (من الصفحة ٤٩ إلى الصفحة ١٠١)، وبعضها مشهور جداً، ويحظى بثقة الباحثين في العلوم القرآنيّة. تجعل القارئ مقتنعاً بضرورة إعادة النظر في معلوماته وقناعاته.

وتدلّ مقدّمة الكتاب على أسلوب الاستفادة منه بذكر الأمثلة والشواهد الواضحة، وتضع تحت تصرّفنا الموادّ اللازمة للبحوث القادمة في كلّ موضع من خلال الجداول الرّياضيّة المنظّمة. مضافاً إلى احتوائها على تلك الانتقادات والآراء، والإشارة إلى أسلوب تدوين هذا المعجم خلال المراحل الإحدى عشرة، وهي: اختيار القرآن المعتمد، مقابلة مصحف فلوجل وتطبيقه على المصحف الميسر، إحصاء المفردات، التنظيم الأبجديّ للقصاصات، فرز الألفاظ بحسب المكيّ والمدنيّ، تحديد مواضع الكلمات، الضبط الإحصائيّ لتعداد الألفاظ ومواضعها، تسجيل مادّة المفردات، تسجيل أعلام القرآن، إحصاء المفردات المشتقة من كلّ مادّة، وإعداد المسوّدات.

لقد كتبت المقدّمة كلها باللّغة العربيّة بأسلوب رائق ظريف، وهي تتألّف من مئة واثنين وثلاثين صفحة، ولها تصدير قصير ترجم إلى الإنجليزيّة لتعريف الغربيّين بالكتاب وكيفيّة استعماله. وبهذا العمل عمّم المؤلّف فائدة الكتاب في العالم الإسلاميّ، بل وفي العالم أجمع. وتعتمد جميع عناصر المقدّمة وموضوعاتها على مصادر ووثائق من الطراز الأوّل، وأحياناً مصادر ووثائق مخطوطة ونادرة. وجاءت مدوّنتها المفصلة بعد المقدّمة الفارسيّة في الصفحة ١١١ حتى الصفحة ١١٩. مضافاً إلى ذلك فإنّ فهرس المصادر (من الصفحة ٦٩١ حتى الصفحة ٧٠٢) يحتوي على مواصفات تامّة لجميع الكتب التي رجع إليها المؤلّف. وهذا يدلّ على جهد مكثّف في البحث والتقصّي من أجل الحصول على المصادر اللازمة لمثل هذا البحث.

وتشكّل الجداول والفهارس المتعدّدة المضبوطة والملبّنة بالأرقام والأعداد القسط الأكبر من محتويات الجزء الأوّل من الكتاب والتي يتطلّب إعدادها جهداً مضمياً، ويستنزف الإشراف الفتيّ على طبعها صبراً لا أمد له. وبعد ذلك فإنّ بعض النماذج من المعاجم القرآنيّة التي نالت من الجانب الفتيّ حظّها في الطبع نوعت ظاهر الكتاب، وجعلته يبهر العيون ويأخذ بمجامع القلوب!

إنّ فهرس المصادر المشتمل على ١٢٩ عنواناً عربيّاً وفارسيّاً وتسعة عناوين باللّغات الغربيّة فهرس رصين ثريّ يفتح لنا عن سعة صدر المؤلّف القدير في التتبّع والتقصّي، وهو - دون شكّ - لا نظير له في مماثله.

ولا تقتصر مميزات المعجم الإحصائيّ على ما ذكرنا، بل يمكننا أن نذكر ميزات أخرى تدلّ على تفوّقه وأرجحيّته على سائر المعاجم، وهي كما يلي:

- إنّ فرز مواضع الألفاظ القرآنيّة بحسب المكيّ والمدنيّ يتحفنا بضوابط جديدة في معرفة مثل هذه الآيات، وبالنظر إلى التفاسير المعتمدة وكتب أسباب النزول وغيرها، يمكن أن تكون مقدّمة لدراسة تاريخ نزول القرآن دراسة علميّة.
- إنّ النظم السائد في عرض الآيات المستثناة (الآيات المكيّة في السور المدنيّة و بالعكس) يوفّر للباحثين في العلوم القرآنيّة الذين يأخذون بآراء أخرى، إمكانيّة كلّ شكل من أشكال التبديل في مواضع الآيات حسب المكيّ والمدنيّ بيسر وسهولة.
- نظراً إلى أنّ بعض الألفاظ القرآنيّة تعتبر بذاتها مدخلاً موضوعيّاً، فإنّ إحصاء مواضع مثل هذه الألفاظ ولاسيّما حسب الفرز المكيّ والمدنيّ، قرّب المعجم إلى مشاكلة المعجم الموضوعيّ إلى حدّ كبير، وجعل استعماله ذا بُعدين. كذلك فإنّ ذكر التواتر التراكميّ أو التجمعيّ Cumulative Frequency للكلمات المشتقة من كلّ مادّة يمكن أن يكون - في مواضع - مقدّمة لدراسة موضوعيّة للقرآن الكريم.
- إنّ ذكر موضع الألفاظ بحسب الفرز المكيّ والمدنيّ يوفّر الفرصة للقيام بدراسة دقيقة لوجوه المعاني التي تحملها كلمة من الكلمات مع أضدادها.
- إنّ المعلومات الإحصائيّة الدقيقة التي توفّرت لأوّل مرّة في هذا المعجم - حسب ما يشهد به فهرس جداول

الكتاب - يمكن أن تكون - بوصفها معطيات أولية - فرضيات في الدراسات الرياضية الإحصائية للقرآن، مثلاً فيما يخص نزول الآيات المكيّة والمدنيّة.

- من خلال الرجوع إلى هذا الكتاب، يمكن أن تتسع دراسة النظم الإحصائية لمفردات القرآن، كما نجد ذلك في ما قدّمه كتاب الإعجاز العددي إلى القرآن الكريم في هذا المجال.
- إنّ طريقة عرض الأعلام في هذا المعجم جعلته يتفوّق كمّاً ونوعاً على غيره من المعاجم القرآنيّة التي تعرّضت للأعلام.
- إنّ ترقيم تسلسل الألفاظ في الأبواب الأبجديّة - الذي لم يتعرّض له في أيّ من المعاجم القرآنيّة إلى الآن - يسر موضوع الإرجاع إلى المفردات.
- هذا المعجم هو أوّل معجم قدّم الألفاظ المشتقة إلى كلّ مادّة بشكل مستقلّ وحسب الترتيب الأبجديّ، مقرونة بالاحصاء المعتمد على نزول الآيات المكيّة والمدنيّة.
- ولأوّل مرّة يذكر هذا المعجم الآراء المختلفة لأصحاب المعاجم القرآنيّة بشأن المفردات التي هي محلّ اختلاف في تعيين مادّتها.
- دلّ هذا المعجم - من خلال تعريفه المجمل لأقدم المعاجم القرآنيّة وفهارس الآيات - على التطوّر الحاصل في هذا الفرع من العلوم القرآنيّة إلى حدّ كبير.
- وأخيراً فإنّ معلومات المعجم الإحصائيّ - بوصفه عطاءً علمياً جديداً - يمكن أن تُسجّل على الأسطوانات الفونوغرافية المغناطيسيّة للكمبيوتر، لتكون - كما نأمل - في متناول أيدي المسلمين و سائر العاملين في البحوث القرآنيّة بشكل أفضل.

وأحسب أنّ هذا الكتاب مصداق بارز و مجدّد حقيقيّ للتوفيق بين الأساليب الحوزويّة والجامعيّة، لأنّ المؤلّف الفاضل الجامع لهما قد وفق بين أدقّ الطرق الإحصائيّة - المعمول بها في المجال العمليّ والتقنيّ فقط - والدراسات الحوزويّة بشأن القرآن، فأبدع تركيباً محكماً و حديثاً. و الزملاء الأفاضل يعلمون مدى عجز المنهجية الصحيحة و الحديثة عن أن تؤدّي دورها في البحوث الإسلاميّة و الحوزويّة، وكم هي حاجة متخصصينا الجامعيّين إلى التأمّلات القرآنيّة و الإسلاميّة. و هذا أمل قديم كان يراود بعض المفكرين من أمثال السيّد جمال الدين الأفغانيّ و محمّد إقبال. و هو أمل عايش مطهريّ و شريعتيّ، حيث نادا به في أكثر محاضراتهما و كتاباتهما، وها هو أقرب الناس إليهما - و هو مؤلّف هذا الكتاب - قد أجابهما إلى ذلك من خلال معجمه هذا.

ويمكن أن يكون القسم الخاصّ بفهرس الجذور و المفردات القرآنيّة (الجزء الأوّل من الصفحة ٣٠٠ فما يليها) مفيداً للمبتدئين في الحوزات العلميّة، وطلبة الجامعات في آن واحد. وكذلك يمكن أن يكون تمريناً مباركاً للعثور على جذر المفردات القرآنيّة بطريقة ميسرة.

ولاشكّ في أنّ هذا الكتاب، مضافاً إلى اهتمام الحوزة و الجامعة به، يمكن أن ينال اهتمام بعض المؤسسات الحكوميّة، مثل: منظّمة الإعلام الإسلاميّ، ووزارة الخارجيّة، ووزارة الإرشاد الإسلاميّ، فتقوم هذه المؤسسات بنشره و توزيعه في أنحاء العالم الإسلاميّ و الغربيّ، لتقول لأبناء العالم: إنّ البحوث العلميّة ليست حكراً على أحد، فهذه هي الجمهوريّة الإسلاميّة و ثقافتها المستمدّة من مدرسة أهل البيت عليه السلام وعلى الرغم من جميع التهم الرخيصة الباطلة التي يبثها أعداؤها ضدها - تشجّع على البحوث المبدئيّة و القرآنيّة و الاسلاميّة العامّة، و لا تشعر بالانفصال عنها و تركها، لاسيّما وأنّها تتشرّف باحتضان عتبة دينيّة شيعيّة، وهي الأستاذة الرضويّة المقدّسة. و هي تؤكّد دائماً و أبداً أهميّة جوانبها و أبعادها العلميّة و المطلقة.



وإلى جانب هذه المنهجية المتقنة، لابد من ذكر الدقة المتناهية التي اتبعتها المؤلف في تأليف الكتاب وطبعه. فالتأكيد المقرون بتدقيق المؤلف فيما يخص دعم نتائج هذا البحث، ورعاية حق كل من كان له دور في إعداد الكتاب، ولو كان دوراً ضئيلاً، مضافاً إلى أن حقل التقييم والتقدير والتنويه والشكر قد رفعا قدر الكتاب، إذ تم تحديد حتى مصدر لوحة الفسيفساء المصوّرة على الصفحة الأولى من الكتاب، (الذي يعود إلى فتان مجهول في زخرفة الفسيفساء)، وكذلك اتسع نطاق الإشارة إلى مصدر عناوين الفصول وأبواب الكتاب.

وهذه كلها أشياء لا عهد لمعاجم الأبحاث والدراسات بها. وسأحجم عن ذكر تنظيم صفحات الكتاب وإعداد الأماكن الخاصة للجداول، وفصل ما لا يلزم من أجل مراعاة القارئ فقط، وما قام به المؤلف من تنظيم المقدمة الفارسية، ملحقة بما يقابلها باللغة العربية في مئة وثلاثين صفحة بالضبط، والقياس الواحد لحجم الصفحات العربية والفارسية. ويستطيع القارئ الواعي والحصيف أن يلاحظ الخطوط المرسومة على كعب الكتاب بأجزائه الثلاثة حيث تدل على رقم الجزء، فالخط الواحد يدل على الجزء الأول والخطان على الثاني والثلاثة على الثالث، ويلاحظ كذلك ترتيب الآيات والأحاديث الواردة في صفة القرآن وفضيلته في كل مجلد (حيث يتضمن المجلد الأول آيات من الذكر الحكيم، ويتضمن المجلد الثاني والثالث أحاديث عن النبي، صلى الله عليه وآله، والإمام عليّ عليه السلام، على التوالي) حسب عقائد الشيعة. حتى أنه قد تم اختيار بعض أمثلة الكتاب من وحى الدليل وحسب الاعتقادات الإسلامية (مثل: الله، محمد، الإسلام في الصفحة ٤٦). وقد أعد فهرس الدليل الموضوعي والمفاهيم بدقة وإمعان علميين، أما المقدمة الإنجليزية للكتاب فقد ثبت المؤلف فيها تلفظ أسماء المعاجم بدقة. وأما ثنية حافة الغلاف فإنها إبداع يحفظ الكتاب من التمزق والتلف المبكرين. ولم ألاحظ كتاباً بهذا الشكل إلا قليلاً.

ومما نسجله بشأن ذكر المؤلف هو إشرافه المتواصل على المراحل المختلفة لطبع الكتاب، حتى آخر لحظة من نشره. وهو عمل ضروري في بلادنا، إلا أنه لا يراعى ولا يعهد البتة، فهو ضروري باعتبار أن الفنيين وأصحاب الذوق السليم قليلون في جميع الأقسام التي تتكوّن منها مطابعنا، وأما الأشخاص المتحمسون النزيهون الذين يشعرون بالمسؤولية فإن وجودهم كوجود العنقاء وحجر الفلاسفة<sup>٢</sup>. وما ذكرناه عن المؤلف فهو غير مألوف في عالم التأليف، لأن معظم مؤلفينا يشعرون بأن مهمتهم قد انتهت حيال كتبهم بمجرد تسليمها للناشرين، وحتى إن بعضهم ممتنع عن تصحيح البروفات الطباعية في كتبهم. وبالنتيجة فإنهم لا يطلعون على قضايا الطبع والنشر من جهة، ولا يأخذون بمأخذ الجدد الخطر المحتمل من وراء اللامبالاة التي تبديها المطابع والناشرون من جهة أخرى. في حين أن عدم تحمس مسؤولي المطابع هو الذي يستدعي الإشراف المتواصل والدقيق للمؤلف. فالمحقق المجدد المصنّف لهذا الكتاب هو من المؤلفين القلائل الذين تابعوا آثارهم في كافة المراحل. وهذا ما شاهدته بعيني، وذلك بسبب ترددي المستمر إلى المطبعة لبعض الأشغال المطبعية آنذاك. مضافاً إلى الإشراف الفني على تحديد نوع الحروف وعلامات الترقيم، والجداول، والرسوم البيانية، وتصميم الغلاف، ومقابلة النص، والإخراج، وتصحيح الأغلاط، وجميع مراحل الفيلم والزنك، ورفع الإشكالات المطبعية والفنية... الخ، حتى أنه خصّص وقتاً كثيراً - بعد الطبع - لرفع البقع والإشكالات الفنية التي طرأت أثناء الطبع على ٣٣٠٠ نسخة من نسخ الكتاب. عند ذلك ختم في ظهر الصفحة الأخيرة لكل نسخة ختماً يحمل عبارة: «تم ضبطه».

حتى إنني على علم بأن اختيار الصندوق الخاص بتعبئة الكتاب، والرقعة التي تحمل العنوان والمواصفات في ظهر الصندوق، قد تم تحت إشراف المؤلف، مما أثار إعجاب زملاء الذين كانوا على علم بنوعية العمل وكميته، مقروناً بالإشادة به.

٢. العنقاء: طائر أسطوري، وحجر الفلاسفة: مستحضر كيميائي أسطوري أيضاً. وهذا قول سائر يعني المحال والمعدم (المترجم).

- وإذا أردت أن أتحدّث عن الكتاب بالأرقام، فعلى أن أضيف إلى ما قلته - بناء على اّطلاعي المؤكّد - ما يلي:
- كانت فكرة تأليف هذا الكتاب مختمرة في ذهن المؤلّف منذ عشرين سنة.
- استغرق تأليفه وطبعه - إجمالاً - ثلاث عشرة سنة.
- استغرقت المراحل المختلفة لطبعه خمس سنين ونصف السنة.
- أحصيت مليون لفظة حسب العدّ التواتريّ من أجل تحديد الرقم الدقيق للألفاظ القرآنيّة.
- نظّم جدول بأبعاد 5×4 لتحديد عدد آيات كلّ سورة، وعدد كلمات كلّ آية، أو عدد الكلمات المصدّرة بأيّ حرف من الحروف الأبجديّة.
- بكلمة أخرى، استغرق تأليف الكتاب سنّاً وعشرين ألف ساعة، والمراحل المختلفة للإشراف على الطبع، والتصحيح، وغير ذلك أربعة آلاف ساعة، فيكون المجموع ثلاثين ألف ساعة كرسها المؤلّف من أجل الكتاب.
- إنّ عدد ما أنجز من من تصحيحات كان ثلاثمئة وثلاثين ألف تصحيح من أجل رفع زهاء مئة إشكال فنيّ بعد الطبع، وتطبيق ذلك على 3300 نسخة.
- أحصيت أوراق جميع النسخ لتأكيد من صحّة الطبع وتجليد الكتاب، فقد أحصي في هذه العميلة زهاء تسعة ملايين ورقة.

عندما يطالع القارئ النابه هذا السرد الإحصائيّ المذهل بدون رؤية الكتاب، فإنّه إذا لم يقل شيئاً عن الفائدة المتربّبة وراء هذا الوقت المبذول كلّهُ، فلعله يتساءل قائلاً: هل أفاض المؤلّف ربحاً من عمره وطاقته من ذلك الوقت المستهلك كلّهُ؟ وهل ثمة حاجة إلى جميع هذه الجهود وتخصيص الوقت والميزانية لطبع هذا الكتاب مع وجود المعاجم الأبجديّة والمعاجم المصنّفة بحسب جذر الكلمات؟ ولو كانت الحاجة قائمة، فهل أنّ المؤلّف الفاضل لم يستطع أن ينجز هذه الدراسة بجهد ووقت أقل؟ فمثلاً ما هي الحاجة إلى جميع هذه الأعمدة الخالية في الجزء الثاني والثالث من الكتاب؟ ألم يستطع أن يختار أسلوباً يؤدّي إلى هذه النتائج بوقت أقلّ وسعر أهدأ؟

أنا لا أريد أن أقول بأنّ مثل هذه الأسئلة منبعثة كلّها عن عدم معرفة بمحتويات الكتاب وعدم اّطلاع على أهمّيّته المضاعفة، ولكتني، على الأقلّ أقول - دون قصد إزالة جميع هذه الشكوك من الاذهان إلى حدّ ما - بأنّي بعد اّطلاعي على الكتاب وتسليمي بالإشكالات الموجودة في جميع المعاجم القرآنيّة السابقة، والتي كنت أرجع إليها بكلّ اطمئنان في وقت ما، رأيت أنّه لا بدّ من تصنيف معجم دقيق وموثوق به يضمّ فوائد متعدّدة، حتى لوكلّف ذلك تكريس الإنسان عمره كلّهُ من أجل ذلك، لكي يتسنى لنا أن نرجع إليه بكلّ اطمئنان من جهة، ومن جهة أخرى يوصل الباب - لأمدما - بوجه أعمال مماثلة له تستنزف أوقاتاً أخرى هي أكثر من زمان تأليف كتاب من الكتب، وحتى أكثر من عمر مفيد لإنسان ما.

وأظنّ أنّ هذا الكتاب قد لبيّ تلك الحاجة. ولعلّ القارئ المنصف قد فهم، وفقاً لهذا التعريف الموجز للكتاب، أنّ هذا الكتاب ليس معجماً للقرآن الكريم من النوع الذي نعرفه فحسب، بل له فوائد وميزات أخرى يمكن لكلّ واحدة منها أن تسدّ حاجة جديدة في حقل البحوث القرآنيّة والإسلاميّة.

وحسب اّطلاعي، فإنّ منهجيّة المؤلّف الخاصّة في تدوين هذا الكتاب، لو أريد لها أن تتضمّن جميع الفوائد المزعومة، فإنّها تستدعي أن يطبع الكتاب بتلك الفواصل الموجودة، وبالنتيجة يمكن - لأوّل وهلة - أن يظهر حجم الصفحات أكثر ممّا هو منتظر قليلاً، وفواصل الكلمات والأعداد أو حتّى رقم الحروف أكثر ممّا هو مؤلّف.

وينبغي أن لا نلغي هذا الاحتمال تماماً، وهو أنّ القارئ المختصّ إذا ضرب على وتر حسّاس فيما يخصّ الأسلوب الخاصّ للكتاب أو التوفيق الموجود فيه بين الأساليب المتداولة في علم الإحصاء والمسائل القرآنيّة، فلربّما اقترح

أسلوباً أفضل، فإنّ المؤلّف - من حسن الحظّ - قد أذعن لهذه الحقيقة بكلّ تواضع، فقال في مقدّمته: إنّنا لا ندّعي أبداً أنّه يمكن التوفّر على دراسة إحصائية للقرآن باستخدام هذا الأسلوب فقط<sup>٣</sup>. فنفس هذه الفكرة يمكن أن تبلغ كمالها المنشود بالإفادة من الإنجازات العلميّة والفنّيّة المتصاعدة، وهذا اعتراف علميّ في محلّه.

إنّ طباعة الكتاب بهذه الجودة الرائعة وهذا المستوى من الاطمئنان وقلة الأخطاء بالنسبة إلى الإمكانيات الفنّيّة الموجودة في مشهد، والوقت الكثير الذي استنزفه، قد حمّل الناشر تكاليف باهظة. ولما كان عدد النسخ المطبوعة منه قليلاً جداً إذا ما قيس بتكاليف طباعته، فلا بدّ أن يكون السعر النهائي للكتاب باهظاً جداً. وينبغي أن تتحمّل الأستانة الرضويّة المقدّسة الخسارة الناجمة عن الطبعة الأولى للكتاب، وتأخذ بنظر الاعتبار وضع الباحثين والراغبين في اقتنائه من أجل تسعيره بشكل مناسب لا يبهظ ذوى الاهتمام. ولتكن على ثقة بأنّه لو كان سعر الكتاب مشجّعاً، فإنّ كفيّة طباعته، ومحتواه الثرّ الغنيّ على درجة عالية من الجودة بحيث ينال حظّه من الطبعة الثانية والثالثة بسرعة، فيعوّض الخسائر الماديّة الناجمة عن طبعته الأولى.

وأنا متفائل بمستقبل الكتاب. وأرى أنّ نشر الكتاب نجاح ساحق ومدد ربّانيّ خاصّة للأستانة الرضويّة المقدّسة والأمة الإسلاميّة. و﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾<sup>٤</sup>.

٣. انظر إلى الصفحة (هفده) من الجزء الأوّل.

٤. المائدة / ٥٤.